ثقافة الطفل العربي في عصر العولمة
الفـرص والمخاطـر

د. محمد محمود العطـار *

تمهيد:

الأطفال هم أمل الوطن المُشرِق، وهم شباب الغد ورجال ونساء المستقبل، وهم المصابيح لننير لهم طريق المستقبل، ويُعدُّ الاهتمام بالطفولة في الوقت الحاضر مؤشرًا مهمًا لتقدم الشعوب والأمم؛ لذا نال مجال الطفولة في معظم دول العالم وخاصة المتقدمة اهتمامًا غير مسبوق؛ لأن تنمية الطفولة هي الركيزة الأساسية لمستقبل الشعوب العربية في بداية الألفية الثالثة.

والطفولة هي الغد والأمل، وأطفال اليوم هم ثروة الأمة ولَبِنَة أساسية في بناء مجتمع الغد، ومستقبل أي مجتمع يتوقف إلى حدٍّ كبير على مدى اهتمامه بالأطفال ورعايتهم وتهيئة الإمكانات التي تتيح لهم حياةً سعيدةً ونموًا سليمًا يصل بهم إلى مرحلة النضج السَّوِيّ، فالطفولة هي صانعة المستقبل، والعناية بالأطفال هي القاعدة الوطيدة التي يقومنَّ عليها صرح نشأتهم السليمة في مراحل نموهم التالية.

ولقد اهتم الإنسان بطفله والقيام على تربيته منذ أقدم العصور على أنه هو الوسيلة الناقلة لتراث الأمة وثقافتها، وهو الحصن المنيع للدفاع عنها والصانع لمستقبلها، والعامل على ازدهار اقتصادها؛ ومن هنا جاء الاهتمام بالطفل والأخذ بيده إلى الأفضل، والعناية بنُموِّه الفكري بما يتناسب مع الظروف البيئية والاجتماعية التي يعيشها مجتمعه[1].

ولا شك في أن الطفل العربي، حياته وثقافته يشغل كل مهتم بمستقبل هذه الأمة، ويزداد هذا الاهتمام كثيرًا مع كل إحباط وهزيمة جديدة يُصاب بها الوطن العربي سياسيًا أو اقتصاديًا أو عسكريًا، فمع الإحباط والهزيمة عادةً ما يتم الهروب لإنقاذ المستقبل والإبقاء على الأمل في الجديد القادم كمحاولةٍ لحماية الأمة والتراث من الاستسلام والتلاشي والاندثار، وما أكثر الهزائم

* أستاذ رياض الأطفال المساعد – كلية التربية – جامعة الباحة – السعودية.

والإحباطات في حياتنا! لذلك من المنطقي أن يظهر، من حينٍ لآخر، الاهتمام الكبير بعالَم الطفل وثقافته[2].

والطفل لا تنمو شخصيته ولا تتكامل إلا بتنشئته على ثقافة مجتمعه ولا يصبح متحضرًا إلا بتعلُّمه لعناصر ثقافة مجتمعه الذي يعيش فيه، ويتصل الطفل بالثقافة التي تهيمن على حياة الأسرة وكذلك بالمجتمع الخارجي الكبير، فيتأثر بهما ويؤثر فيهما ويمتصُّ منهما القيَم والتقاليد والأعراف الاجتماعية والأنماط السلوكية، وهكذا ينشأ الفرد وينمو من مَهدِه إلى لَحدِه في إطارٍ اجتماعي ثقافي يؤثر فيه ويتفاعل معه، وكما أن الفرد يُولَد داخل مجتمع ما فهو كذلك يولد داخل ثقافة خاصة تشكِّله وهو بدوره يشكِّلها، وهي تؤثر فيه بطريقة مباشرة في الأسرة والمدرسة، وهو يسعى جادًا ليُكيِّف نفسه للثقافة القائمة حينما يقلد ليتعلم الأساليب العامة للحياة التي يرتضيها لنفسه. فالثقافة هي مُحصِّلة التفاعل القائم بين الفرد والمجتمع والبيئة، وهي ثمرة علاقة الفرد بالأفراد والزمان والمكان ومُكوِّناته وبالكون من حوله.

ولكل مجتمع نمطه الثقافي السائد ووضعه الحضاري الذي يؤثر في أساليب أبنائه، فالطفل في الصين ينشأ في إطار ثقافي وحضاري يختلف عن الإطار الذي ينشأ فيه الطفل في مصر، وكلاهما يختلف عن الإطار الذي ينشأ فيه طفل الولايات المتحدة، ويدخل ضمن الإطار الثقافي في المجتمع أساليب المعيشة والعادات والعرف والتقاليد والقيم السائدة، فضلًا عن الأدوات التكنولوچية المستخدمة في تيسير الأعمال.

إن ثقافة الطفل لا تنفصل عن ثقافة مجتمعه، بل هي من صميمها، وإن الطريق إلى تنمية ثقافة الطفل تأتي عقب إشعار المناغاة والمداعبة وعبر ما تغرس فيه من خلال هذه الأناشيد من حب الوطن والأهل والكرم والشجاعة إلى غير ذلك من القيَم التي يحترمها المجتمع، ويعمل غرسها في نفوس الأطفال كي يشبُّوا عليها، وتكون لهم دروسًا مستفادة في مستقبل الأيام. والمُدقِّق في ثقافة الطفل يصل إلى أن الثقافة ليست ثقافة فرعية نوعية منفصلة عن الثقافة العامة للمجتمع الذي يعيش فيه، بل هي جزء من هذه الثقافة، وتشترك معها في بعض الخصائص لاسيَّما عندما يُولِيها المجتمع أهمية كبيرة.

ولقد أصبح انكماش العالم ممكنًا بسبب الثورة العلمية والتكنولوچية الراهنة، والتي هي القوة المُولِّدة للعالم الواحد الذي يتسم بأنه عالَم بلا حدود اقتصادية أو ثقافية أو سياسية. إن الثورة العلمية والمعلوماتية هي التي جعلت عالم اليوم أكثر اندماجًا، وهي التي سهلت حركة

الأفراد والسلع والخدمات والمعلومات، وهي التي قلَّصت المسافات وجعلت التحولات سريعة ومذهلة في سرعتها.

وتتضمن الثورة العلمية والمعلوماتية توصيل المعلومات والخدمات الفورية إلى كل أرجاء العالم وبسرعة الضوء، وذلك عبر التجارة الإلكترونية والتعليم الإلكتروني.. ولقد تطورت شبكة الإنترنت خلال التسعينيات من القرن العشرين، وتحولت إلى عملاق إلكتروني يُوحِّد العالم، ويجعل التواصُل بين الأفراد يتم بالصوت والصورة وبسرعة الزمن الحقيقي.

وفي ظل الثورة المعلوماتية، وفي ظل التطور الهائل الذي يطالعنا مع إشراقة كل صباح في المجالات المختلفة عامة، والمجال الإعلامي خاصة، وفي ظل التقدم الذي لحق بالكمبيوتر والأقمار الصناعية، وفي ظل ظهور شبكة الإنترنت، كان لا بُدَّ أن ننظر إلى أطفالنا نظرة تأمل فاحصة.

ولقد بدأ طفل اليوم يفقد الكثير الضروري لتكوين الرؤية السليمة لكل ما يحيط به من مواقف وقيم واتجاهات ومعايير معقدة وغربية بل ومتناقضة أحيانًا؛ الأمر الذي جعله يفتقر إلى إمكانات احتواء عناصر التوافق الاجتماعي المطلوب، فوسائل الإعلام لاسيما في شكلها السمعي البصري، باتت هي التي تشكِّل اليوم بيئة الطفل الفعلية، صحيح أنها بيئة مصنوعة ومُكيَّفة، ولكنها بالتحديد تُعدُّ أشد تأثيرًا في شعور ولا شعور الطفل معًا، من البيئة الطبيعية، وأقدر منها على تشكيل شخصيته وصياغة إرادته.

وفي عصر المعلومات تمثل تكنولوچيا المعلومات إحدى الوسائل المنشودة لتعويض تقصيرنا في مجال تربية الطفل، والطفل العربي سوف يواجه طفلًا آخر من نتاج المجتمعات المتقدمة، ومزودًا بأسلحة التفوق العلمي والتكنولوچي، وربما يتم أيضًا تحسينه جنينيًا عن طريق تكنولوچيا تحسين النسل البشري، بل هناك احتمالات قائمة بالفعل لتعزيز مُخّ هذا الطفل بمفرزات اصطناعية من خلال تكنولوچيا المخ، التي تسعى حاليًا إلى تطعيم المخ البشرى بشرائح إلكترونية تعمل على إثراء الذاكرة البشرية بحصاد معرفي سابق التجهيز، وعلى زيادة إجراء العمليات الحسابية والمنطقية.

ولقد تضخَّمت المعرفة الإنسانية وتنوعت وتداخلت بصورة لم تعُد تجدي معها الأساليب التقليدية لتحصيل المعرفة التي عهدناها في الماضي، وقد أيقن الجميع ضرورة اللجوء إلى تكنولوچيا المعلومات لمواجهة ظاهرة الانفجار المعرفي، وهو ما يستوجب إكساب الطفل العربي القدرة على التعليم الذاتي مدى الحياة والتعامل المباشر مع مصادر المعرفة دون وسيط بشري

في هيئة معلم مدرسي أو كتاب مدرسي، ويتطلب ذلك إكساب الطفل مهارات البحث والإبحار في شبكة الإنترنت، وهو الأمر الذي يتطلَّب بدوره استحداث وسائل سهلة لاسترجاع المعلومات باللغة العربية.

وتحرص الدول المتقدمة على توفير البيئة العلمية المناسبة لنمو المواهب العلمية لدى أطفالها، وتوفير الوسائل والأدوات المتعددة لشحذ تلك المواهب، وكما تحرص على توفير ثقافة علمية حية للطفل، وربط تعليم العلوم بالبيئة وبحياة الأطفال وما يحيط بهم من أرض وجو وهواء، وكهرباء وآلات مختلفة بحيث يساعدون الأطفال على تكوين المُدرَكات العلمية الصحيحة عمَّا يحيط بهم من عناصر، مع الاهتمام بأصحاب الميول العلمية ورعايتهم وتشجيعهم على الاستمرار في دراسات العلوم والتكنولوچيا، وعدم الانصراف عنها أو اختيار ميادين تَخصُّص أخرى.

إن ثقافة الطفل العربي في عصر المعلومات من الناحية العلمية تُعدُّ ثقافة ناقصة ومبتورة، ولا تَعدُّ الطفل العربي ليكون صاحب نظرة علمية للكون والحياة، والعصر الذي نعيش فيه عصر تغير سريع، تغير شامل وواسع، يمسُّ جميع أوجه الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ويتعرض الوطن العربي كغيره من مناطق العالم لمتغيرات كثيرة ومتلاحقة منذ العقدين الأخيرين من القرن العشرين.

ولقد بات في حياتنا الراهنة أننا نعيش عصرًا تتقارب فيه قارَّات العالم حتى يصبح العالم قارَّة واحدة، ويُسهم في ذلك التطورُ التكنولوچيُّ الهائل في وسائل الاتصال، وقد ساعد ذلك على دخول العالم في عصر التجارة الواحدة (الجات)، وما أعقبها من نتائج خطيرة على حياتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ألا وهي "العَوْلَمَة" وهي نقيض لهُويَّتنا وهوية أمثالنا من المجتمعات الأخرى ذات التميُّز والتفرُّد، كما أنها تهدد بشكل عام ثقافتنا بكل ما انطوت عليه من ديانة وأعراف سلوك غير أن الأمر لا يقف بنا عند حدِّ العداء للعولمة، وإنما ينطلق أيضًا إلى حد التفاعل معها باعتبارها ضرورةً يعيش فيها عالم اليوم والغد، وهذا يتطلب منَّا الاهتمام بالتعليم وتحسين نوعيته والقضاء على الأُمِّية الأبجدية والأمية الثقافية[3].

والعولمة ليست في حقيقتها قفزًا على حدود الدولة والقوميات سعيًا إلى ربط البشرية اقتصاديًا وسياسيًا بمركز قوى، وإنما هي في حقيقتها على الجانب الثقافي تُرسِّخ التبعية على حساب تغيُّب الذاكرة الوطنية بتفتيت الدور المحلي[4]، حيث تسعى العولمة إلى خلق ثقافة عالمية من خلال توحيد الآراء في المسائل العالمية، وفرض أذواق واحدة وعن طريق سوق استهلاكية عالمية

في الفكر وفي السلوك، وفي هذا المجال بالذات توجد مخاوف شتى من تهديد الثقافة العالمية للخصوصيات الثقافية.

وتُعدُّ الثقافة من الموضوعات المهمة في حياة الإنسان لأنها تتصل به، وتعبر عنه، وتسجل تطوره، وتُبرز تقدُّمه، على مَرِّ العصور والأزمنة. والثقافة هي العلوم والمعارف التي يتوصل إليها الإنسان بعقله وفكره وتأمله وملاحظته، وهي عنوان المجتمعات البشرية التي تحدد ملامحها، وتوضح اتجاهها، وتبيِّن عقائدها، التي تؤمن بها ومبادئها التي تحرص عليها، وتراثها الذي تحافظ عليه، وتحب له الشيوع والانتشار.

ويخرج الطفل إلى الحياة ويتلقَّى الثقافة حسب ما يُمليه عليه المجتمع، فكلما وُضِع الصغير في مواقف تربوية ناضجة كان أقدَر على فهم نفسه وفهم ما حوله وكان أسرع إلى مسار النجاح، وإذا كان غير ذلك فإن المعاناة أو الفشل مصير خطواته.

فالثقافة هي حياة الإنسان، وعماد شخصيته، ولا قيمة له من دونها، يكتسبها منذ الطفولة ثم تنمو وتتطور معه شيئًا فشيئًا، وبها يستطيع أن يتقدم ويحقق التقدم والرُّقيّ، وأصبح هدف الحفاظ على الهُويَّة العربيَّة الإسلامية يمثل ضرورة تربوية مُلحَّة في عصر المعلوماتية الراهن.

مفهوم الثقافة:

الثقافة من أكثر الكلمات استخدامًا، ومن أشدِّها غموضًا وقد يرجع هذا الغموض إلى تعدد معاني الثقافة وتباينها في كثيرٍ من الأحيان. بيد أن الأمر الذي لا ريب فيه أن لكل مجتمع ثقافة تميزه وتبلور معتقداته وقيمه ومبادئه وعلاقاته الاجتماعية وأنماط سلوكه وتحيزاته الأيديولوچية، وقد تتشابه بعض المجتمعات في بعض أشكال الثقافة وأنماط السلوك، غير أنها تتباين عند فحص الخصوصيات المميزة لهذه الثقافة.

ولعلَّ في الكشف عن منابت كلمة "ثقافة" في استخداماتها اللغوية، ما يُعين على استجلاء القصد منها، فكلمة "ثقافة" من ثَقفَ ثَقْفًا، بمعنى صار فَطِنًا. أما ثقفَ الشيءَ، فمعناه: أقام المُعوجَّ منه وسوَّاه، وثقف الإنسان، أدَّبه وهذَّبه وعلَّمه؛ ومن ثم فإن الثقافة هي العلوم والمعارف والفنون التي يُطلب الحذق فيها، واشتُقت كلمة Cultura اللاتينية ومشتقاتها في اللغات الأوربية الحديثة من الفعل اللاتيني cola era ui cult um، وهي تعني في الأصل الفِلَاحَة Agriculture والعبادة Cult.

ويُعرِّف "تيلور "Taylor الثقافة بأنها: ذلك الكل المُركَّب الذي يتضمَّن المعرفة والاعتقاد والفن والقانون والأخلاق والعرف، وأية قدرات أو عادات يكتسبها الفرد بوصفه عضوًا في المجتمع.

ويُعرِّف معجم أكسفورد الثقافة بأنها: الاتجاهات والقيم السائدة في مجتمع معين، كما تنعكس في الرموز اللغوية والأساطير وأساليب الحياة ومؤسسات المجتمع التعليمية والدينية والسياسية[5].

كما إن لمفهوم الثقافة تعريفات كثيرة، غير أنها تلتقي عند نقاط بعينها، ومن بين تلك التعريفات اثنان يتنافسان على التفوُّق، أحدهما ينظر إلى الثقافة على إنها تتكون من القيم والمعتقدات والمعايير والتفسيرات العقلية والرموز والأيديولوچيات، وما شاكَلها من المنتجات العقلية، أما الاتجاه الآخر فيرى الثقافة على أنها تشير إلى النمط الكُلِّي لحياة مجتمع ما والعلاقات الشخصية بين أفراده وتوجُّهاتهم.

ومع هذا فإن من الممكن النظر إلى الثقافة على أنها كُلٌّ مُركَّب من تلك المُكوِّنات العقلية والعاطفية إلى جانب مكونات سلوكية مستندة إلى تلك المعنويات. وهذه تجد لها وجودًا سائدًا في مجتمع ويشارك فيها الفرد مجتمعه.

وتتنوع الثقافات بتنوع الأمم، والجمعيات العِرْقية، والشركات، والنوادي، وسائر التجمُّعات الأخرى بين الناس التي تفكر بطريقة مختلفة، ولو قليلًا عن غيرها، وتستخدم رموزًا متباينة إلى حَدٍّ ما، أو التي تعبِّر عن ممارستهم وصنعائهم المعتادة عن شيءٍ ما خاصٍّ بهم.

والثقافة في المجتمع الواحد، في حقيقتها، ثقافات، إلى جانب الثقافة العامة، منها ثقافة الأطفال، ما دام لهم من المعنويات وأنماط السلوك ما هو سائد، حيث إن للأطفال عاداتهم ولغتهم وأفكارهم وميولهم ومعاييرهم وألعابهم، ولهم أيضًا أساليب حركية أو رمزية أو اتصالية أو عقلية أو عاطفية.

وكان بيان المكسيك الصادر عام 1982م حول السياسات الثقافية قد أكَّد أن كل ثقافة هي مفهوم كلي واحد، ولا يجوز أن تُستبدل بفرض مجموعة من القيم، وذلك لأن كل شعب يؤكد وجوده في العالم عن طريق تقاليده وطرق تعبيره، ولا بُدَّ لكل شعب أن يسعى للدفا ع عن سيادته واستقلاله والحفاظ على تراثه الثقافي وتقديره حق قدره؛ وبهذا يستطيع تأكيد هُويَّته الثقافية وتدعيمها، وقد نبَّه البيان إلى ضرورة الاستعانة بوسائل الاتصال المختلفة لتأكيد الهوية الثقافية والحفاظ على السيادة.

مفهوم ثقافة الطفل:

يُولَد الطفل مرتين، إحداهما، ولادة بيولوچية، والثانية ولادة ثقافية، حيث تبدأ هذه الأخيرة بالتكوين مع بدء امتصاص الطفل، من المجتمع، لِلُّغة والأفكار والعادات وأنماط السلوك الأخرى؛ مما يشكل ثقافة الأطفال الآخرين في المجموعة أو الجماعة أو المجتمع[6].

وثقافة الطفل هي "أسلوب الحياة المُميِّز لجماعة الأطفال في مجتمع معين"[7]، كما يمكن تعريف ثقافة الأطفال بأنها تدريبهم على اكتساب أساليب مجتمعهم الحياتية، وتنشئتهم على مراعاة قيَمه واتجاهاته ومعاييره الاجتماعية وأصول معتقداته ولغته.

إن الثقافة الطفلية ثقافة بنائية تتجه إلى بناء الشخصية وتكوين الطفل إنسانيًا. ومن هذا المنطلق الوظيفي فإن ثقافة الطفل تكون وثيقة الصلة بهويته، إنها صيرورة إنسانية تُولِّد في الطفل عناصر نمائه وتكامله الإنساني، وتؤدى دورًا مركزيًا في بناء شخصيته وتكوين هويته المستقبلية. فثقافة الطفل ليست مجرد منظومة مكتسبات معرفية أو علمية أو قيمية مكدسة في عقله أو ذاكرته، بل هي فعل تكويني يشتمل على مختلف الجوانب الوجودية في حياة الطفل وفي صميم وجوده الإنساني[8].

إن الثقافة هي نواة الشخصية بالنسبة إلى الفرد والأمة، فهي التي تحرك الإنسان في الحقل وفي المصنع والمدرسة والجامعة والمسجد والكنيسة، وهي التي تتحكم في حركة الحياة في الشارع والأسواق، بتقديم الثقافة تستقيم الحياة على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وبالتعمُّق الثقافي ترقَى الآداب والفنون والعلوم والذوق العام[9].

أهمية ثقافة الطفل:

تنبع أهمية ثقافة الطفل من وظيفتها الأساسية في تحويل المولود الجديد من كائن بيولوچي إلى كائن حي، وتبدأ هذه العملية قبل ميلاد الطفل وتستمر بعده حتى الممات، فخلال سنوات الطفولة تتشكل الهوية الذاتية التي يلعب المحيط الاجتماعي بمختلف مثيراته ووسائطه الدور الحاسم فيها، كما تُسهم بشكلٍ كبيرٍ في تشكيل الشخصية بمُجملها وتحدد السلوك وتوجهاته وذلك من خلال عمليات النمو، في مختلف أبعادها العاطفية والمعرفية والاجتماعية والسلوكية والجمالية، ويمكن أن ندرك أهمية ثقافة الطفل ودورها في التخطيط للمستقبل في ضوء ما يلي[10]:

- تأصيل الهوية الثقافية، مع اهتمام خاص باللغة العربية.

- التأكيد على التراث العربي الإسلامي، وما يزخر به من منجزات.
- التأكيد على التحصين الثقافي من أجل إطلاق طاقات النمو عند الطفل.
- الاهتمام بأدب الطفل، والخدمات المكتبية، والنشر والتوزيع، ومسرح الطفل، ووسائل الترفيه، ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة.
- العناية الخاصة بإعداد الخبراء الفنيين والتقنيين في مختلف مجالات ثقافة الطفل وتربيته.

التنشئة الثقافية للطفل:

تعني ثقافة الطفل كل ما يكتسبه الطفل من معرفة وكل ما يتعلمه من معانٍ ويُغرس فيه من ميول واتجاهات في السنوات الأولى لحياته في الأسرة، ثم ما يكتسبه من خبرات ومعلومات وميول واتجاهات وقيَم في حياته المدرسية.. ومن وسائل الإعلام وجماعة الرفاق، ومن الأندية ودُور العبادة والمؤسسات الثقافية التابعة للدولة.

ويمكن اعتبار كل من هذا مجالًا من المجالات التي يخطوها الطفل في طريق اكتسابه لثقافة مجتمعه وتكوين شخصيته الثقافية. ولهذه المصادر جميعًا دور في تنشئة الطفل وتربيته وتعليمه وتثقيفه وإعداده للمستقبل، ومع الوضع في الاعتبار أن من الأهمية بمكان أن تكون النظرة إليها متكاملة وكلية؛ لأنها تعمل جميعًا في نسق وهدف واحد هو الرعاية الثقافية للطفل.

ويُولَد الإنسان وهو مجرد مخلوق أو كائن بيولوچي. والتنشئة الاجتماعية هي العملية التي تحوِّله إلى مخلوق أو كائن اجتماعي. ثم تأتي التنشئة الثقافية فتحوله إلى كائن اجتماعي ثقافي، حيث تغرس فيه وتعلمه ثقافة مجتمعه. فالتنشئة الاجتماعية تسبق أو تمهد للتنشئة الثقافية. فالطفل يولد وينشأ في وسط اجتماعي ثم يكبُر وينمو في وسط ثقافي، والثقافة هي التي تحدد للأسرة الأساليب والطرق التي تتَّبعها في تنشئة الطفل. فمثلًا الجوع والعطش والملبَس حاجات ضرورية للطفل، ولكن الثقافة هي التي تحدد له أسلوب أو طريقة تناول الطعام والشراب ونوع الملبس وشكله. وكذلك يُولَد الطفل ولديه عقل يفكر به. والثقافة هي التي تحدد له طريقة التفكير ونوعه، وأسلوب التعبير عن الانفعالات والمشاعر وما يتعلمه من قيَم ومعايير وعواطف، وبطريقةٍ لا تخالف النظام الثقافي السائد والمقبول في المجتمع، فالثقافة هي جوهر أو لُبّ عملية التنشئة الثقافية، وبذلك تكون الثقافة ذات تأثير كبير على تشكيل الفرد.. ولا يمكن أن تجد إنسانًا متمدينًا إلا ويكون قد تعلَّم الأنماط الثقافية في مجتمعه.

وهكذا يمكننا أن نُعرِّف التنشئة الثقافية بأنها العملية التي يتم بها تشكيل الفرد طبقًا لثقافة المجتمع وما تتضمَّنه من قيَم ومعايير وعادات وتقاليد وقانون ودين وأنماط سلوك. وبتعبيرٍ آخر التنشئة الثقافية هي أسلوب الحياة الذي تفرضه ثقافة المجتمع على الأفراد وتجعلهم يتصرفون طبقًا للأنماط الثقافية التي يتضمَّنها النظام الثقافي للمجتمع.

وعلى ذلك تصبح التنشئة الثقافية هي العملية التي تصبغ الإنسان بصبغة التحضُّر أو التمدين أو هي العملية التي تجعل الإنسان شخصًا أو فردًا متحضرًا.

طبيعة عملية التنشئة الثقافية:

إن التنشئة الثقافية تختلف من ثقافةٍ إلى أخرى، فهي أيضًا تختلف في المجتمع الواحد من مكانٍ إلى مكان، ومن زمانٍ إلى زمان، فهي في المناطق الساحلية تختلف عنها في السهول أو الجبال أو الصحاري. وهي أيضًا تختلف في عصر الإقطاع عنها في عصر الثورة الصناعية. وفي مصر مثلًا .. اختلفت التنشئة الثقافية للفرد في العصر الفرعوني عنها في العصر المملوكي.. عنها في العصر الحاضر. ويرجع ذلك كله إلى اختلاف العناصر أو الأنماط الثقافية والحضارية التي هي جوهر عملية التنشئة الثقافية. أو بتعبير آخر يرجع ذلك كله إلى اختلاف الطابَع القومي للثقافة في كل مجتمع عن المجتمع الآخر.

ومن الجدير بالملاحظة هنا أن عملية التنشئة الثقافية هي امتداد طبيعي لعملية التنشئة الاجتماعية.. فالطفل يُولَد في وسطٍ اجتماعي، ثم يكبُر وينمو في وسطٍ ثقافي، ذلك أن الثقافة هي التي تحدد للأسرة الأساليب والطرق التي تتَّبعها في تنشئة الطفل، فالعمليتان متداخلتان ومتفاعلتان وتكمل إحداهما الأخرى وتهدفان إلى هدف واحد، هو تنشئة شخصية الإنسان التي تعبِّر عن ذات الفرد وعن الثقافة أو الحضارة التي ينتمي إليها ويحمل طابَعها القومي العام.

أهداف التنشئة الثقافية:

يمكن لنا أن نوجز هذه الأهداف فيما يلي:

(1) تهدف التنشئة الثقافية ليس فقط إلى إشباع الحاجات البيولوچية أو الغريزية للفرد كالعطش والجوع، وإنما تعلمه وتدربه على طريقة أو أسلوب ممارستها أو إشباعها، بل تعلمه أيضًا

أين ومتى وكيف يمارسها أو يُشبعها. فعلى سبيل المثال، تناول الطعام طبقًا للنمط الثقافي السائد في المجتمع. هل باليد أو بالشوكة والسِّكِّين والملعقة؟ كما تُعلِّمه مكان تناول الطعام وأوقات الوجبات.

(2) تهدف التنشئة الثقافية إلى خلق حاجات جديدة لدى الفرد ليست بيولوچية أو فطرية.. وإنما يكتسبها من البيئة الاجتماعية أو المجتمع، وذلك مثل حاجته إلى النجاح أو تحقيق مركز مرموق في العمل أو في الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها، أو الجمعية الثقافية التي ينتمي إليها.

(3) تُمكِّن الفرد من مواجهة المواقف المختلفة التي تصادفه في الحياة الاجتماعية، وتزوده بالقدرة على التصرف إزاء المواقف وإيجاد الحلول الملائمة لكل موقف وطبقًا لقدراته العقلية أو ذكائه.. وذلك كله داخل إطار المعايير والنماذج الثقافية السائدة والتي تعلَّمها وتشرَّبها.

(4) كما تُزوِّد الفرد بمجموعة من القيَم والمعايير والأنماط السلوكية التي تفسِّر له معنى الحياة والهدف من الوجود.. وذلك كله في حدود الدين وداخل الإطار أو النظام الثقافي الذي يسود المجتمع.

(5) تعمل التنشئة الثقافية على قدرة الفرد على التكيُّف مع مكانته في المجتمع.. ذلك لأن كل ثقافة تشتمل على وسائل أو أساليب لتدريب الأفراد على القيام بأدوارهم وقبول أوضاعهم في الجماعة. لذلك كانت الثقافة والتنشئة الثقافية تربة خصبة للشخصية.

(6) تساعد التنشئة الثقافية على تكوين "الضمير" عند الإنسان؛ ولهذا كان الضمير شيئًا يكتسبه الفرد من ثقافته وإن كانت له عمومية في كل الثقافات.

(7) كما تهدف التنشئة الثقافية إلى منح الإنسان الشعور بالولاء أو الانتماء، ذلك لأن الثقافة المشتركة للمجتمع تربط الأفراد جميعًا في جماعةٍ يشعرون بالاندماج فيها، ويظهر هذا جليًا عندما يتقابل شخصان من ثقافتين مختلفتين، فيحسُّ كل واحد بمدى التصاقه وانتمائه بثقافته.

إن التنشئة الثقافية تعمل على تشكيل شخصية الفرد وتطبيعه بالنظام الثقافي السائد في المجتمع، بما يتضمنه من قيَم ومعايير وعادات وتقاليد وأنماط السلوك وأساليب التكنولوچيا بما ينعكس على ردود أفعاله أو استجاباته، وما يتخذه من قرارات إزاء المواقف الاجتماعية التي يتعرض لها خلال حياته، فالتنشئة الثقافية تزود الفرد بالأبعاد الثقافية التي تخلق منه إنسانًا

متحضرًا أو متمدينًا، يحمل سمات أو ملامح الطابَّع الثقافي القومي لمجتمعه والقادر على تحقيق مصلحته ومصلحة المجتمع الذي ينتمي إليه.

تعريف العولمة:

يُعدُّ تعريف العولمة أمرًا شائكًا وتوجد صعوبات كبرى على الاتفاق بين المفكرين على مثل هذا التعريف أو القبول بتعريف واحد. والسبب الرئيس في ذلك أنه لم يكن لمفهوم العولمة أي وجود قبل منتصف عقد الثمانينيات من القرن العشرين، وبدأ مفهوم العولمة يزداد تداولًا وانتشارًا خلال التسعينيات من القرن نفسه.

ولا زال مفهوم العولمة يكتنفه الغموض في ذهن البعض، بينما ينظر إليه آخرون بريبةٍ على أنه مجرد واجهة أخرى "للهيمنة الأمريكية" غير أن "العولمة" ستظل تطفو أكثر وأكثر في نقاش المسائل العامة، ومع أن العولمة ليست بالشيء الذي نحتاج إلى من يلفت نظرنا إلى وجوده. إنها "شيء" أصبحنا نعيشه في حياتنا اليومية في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين، إذ بدا وكأنما العالم هجم علينا بأخباره منذ أن صرنا نتابع، من خلال وسائل الإعلام المتطورة باستمرار، والفضائيات والإنترنت الأحداث لحظة وقوعها، مهما بعُد مكان حصولها، وأصبح تداول البضائع على اختلافها مشتركًا في كل أنحاء العالم الذي كاد يصبح "قرية كونيَّة"[11].

وأهم ما يميز مفهوم العولمة أنه لا زال مفهومًا في مرحلة التكوين رغم نفوذه واستخدامه الواسع؛ لذلك نجده موجودًا بتغييرات متباينة وبتفسيرات مختلفة، ورغم كل شيء فإن العولمة تشير إلى نشأة عالَم جديد بدأت ملامحه في الظهور لكن صورته النهائية لم تتكوَّن بعد[12].

وإذا أردنا أن نقترب من صياغة تعريف شامل للعولمة، فلابد أن نضع في الاعتبار ثلاث عمليات تكشف عن جوهرها. العملية الأولى تتعلق بانتشار المعلومات بحيث تصبح متاحةً لدى جميع الناس، والعملية الثانية تتعلق بتذويب الحدود بين الدول، والعملية الثالثة هي زيادة معدلات التشابه بين الجماعات والمجتمعات والمؤسسات. وكل هذه العمليات قد تؤدي إلى نتائج سلبية بالنسبة إلى بعض المجتمعات، وإلى نتائج إيجابية بالنسبة إلى بعضها الآخر.

وكلمة عولمة كلمة حديثة وهي مترجمة عن "Globalization" الإنجليزية، وهي لا تعني العالَم وإنما تعني تعميم الشيء، وتوسيع دائرته ليشمل الكل، وبهذا المعنى يمكن أن نتحدث أو على الأقل نفترض أن الدعوة إلى العولمة بهذا المعنى إذا صدرت من بلد أو جماعة معينة، فإنها تعني

نشر النمط الثقافي والسياسي والاقتصادي الذي يخصُّ ذلك البلد أو تلك الجماعة بحيث يسود في النهاية العالمَ كلَّه[13].

وهناك تعريفات كثيرة للعولمة، لكن القاسم المشترك بينها هو تأكيد فكرة دمج العالم في نسقٍ واحدٍ يشمل كل المجالات.

إذ العولمة هي: "اتجاه تاريخي نحو انكماش العالم وزيادة وعي الأفراد والمجتمعات بهذا الانكماش"، كما تُعرَّف بأنها "كل المُستجدَّات والتطوُّرات التي تسعى بقصدٍ أو دون قصد إلى دمج سكان العالم في مجتمع عالمي واحد"[14].

والعولمة تعني "سيادة حضارة معينة على حضارات أخرى، وترويج قيم ذات تأثير على الآخرين، في الثقافة والاقتصاد والسياسة وشتى مناحي الحياة"[15].

إن العولمة بأوسع معانيها هي "مجموعة من العمليات التي يتردد بها صدى الأحداث، والقرارات، والأنشطة التي تحدث في جزءٍ معينٍ من كوكبنا، في بقية أرجائه، على كُلٍّ من الأفراد والأشكال الأخرى من التجمُّعات البشرية"[16].

ويمكن أن نضيف أن العولمة:

- نمط جديد لإعادة انتشار المركزية الرأسمالية.
- هي نتاج لمرحلة ما بعد منتصف الثمانينيات.
- إذا كانت معالم العولمة في الاقتصاد والسياسة قد تشكَّلت، فإن ملامحها في الإطار الثقافي والاجتماعي أخذت في الظهور.

قوى العولمة:

المقصود بقُوَى العولمة، تلك العوامل التي ساعدت على ظهور بداية عصر العولمة، وشاركت في إزالة الحدود بين المجتمعات، حيث أصبح انكماش العالم ممكنًا بسبب الثورة العلمية والتكنولوجية الراهنة، والتي هي القوة المُولِّدة للعالم الواحد الذي يتَّسم بأنه عالم بلا حدود اقتصادية أو ثقافية أو سياسية. إن الثورة العلمية والمعلوماتية هي التي جعلت عالم اليوم أكثر اندماجًا، وهي التي سهَّلت حركة الأفراد والسلع والخدمات والمعلومات، وهي التي قلَّصت المسافات وجعلت التحولات سريعة ومذهلة في سرعتها.

وتتضمَّن الثورة العلمية والمعلوماتية توصيل المعلومات والخدمات الفورية إلى كل أرجاء العالم وبسرعة الضوء، وذلك عبر التجارة الإلكترونية والتعليم الإلكتروني والطب الإلكتروني. ولقد تطورت شبكة الإنترنت خلال التسعينيات من القرن العشرين، وتحوَّلت إلى عملاق إلكتروني يوحِّد العالم، ويجعل التواصُل بين الأفراد يتم بالصوت والصورة وبسرعة الزمن الحقيقي.

وفي ظل الثورة المعلوماتية، وفي ظل التطور الهائل الذي يُطالعنا مع إشراقة كل صباح في المجالات المختلفة عامة، والمجال الإعلامي خاصة، وفي ظل التقدم الذي لحق بالكمبيوتر والأقمار الصناعية، وفي ظل ظهور شبكة الإنترنت، كان لا بُدَّ أن ننظر إلى أطفالنا نظرة تأمل فاحصة.

فالإعلام في عصرنا هذا وهو عصر "ثورة المعرفة والمعلومات" يشبه العمود الفقري الذي ترتكز عليه الحياة في المجتمع، ومن مهمات ووظائف الإعلام الرئيسة، نشر الثقافة[17].

والناظر إلى الإعلام العربي – ونصيب الطفل منه – يجده من الضآلة بحيث لا يكاد يُذكر، فقد ترك الطفل العربي، فريسةً للإعلام الغربي وبرامجه؛ خاصةً بعد هذا التقدم الهائل في الوسائل والتقنية الإعلامية، ولو أخذنا التلفاز، كإحدى الوسائل التي تجذب إليها أكبر نسبة من الأطفال، وقمنا بتحليل برامج الأطفال فيها، لوجدنا الآتي[18]:

- عدم جدوى معظم برامج الأطفال، والتي يتم عرضها؛ وخاصةً التي يتم إنتاجها في الدول العربية والإسلامية، حيث يخلو معظمها من المواد الهادفة، التي تساعد على النشأة القويمة للطفل العربي، وإن عُرضت برامج ذات جدوى، تُعرض في أوقاتٍ لا تتناسب مع الأطفال.
- قلَّ أن تجد برامج تُعلم الأطفال أمور دينهم، ولكن تركز الأغلبية منها على تعليمهم الرقص والغناء، وما لا فائدة فيه، زيادةً على ما يتعلمونه من الكذب والمكر.
- البرامج التي يتم استيرادها – والخاصة بالأطفال – تُعرض لهم دون تنقية وقد يكون بها من أساليب العنف والعدوان – وهي لا تخلو من ذلك – وخاصة إذا تم إعداد هذه البرامج، للأطفال في العالم العربي على وجه الخصوص.

إن إعلام الطفل المُستورَد يلعب دورًا خطيرًا في تنشئة الطفل التنشئة الثقافية المنحرفة، فكثير من أفلام الكارتون تحوي مشاهد مُخلَّة بالحياء وهادمة للقيم الدينية السَّوِيَّة، كما تحمل في طيَّاتها تعصبًا وتشويهًا لحضارتنا وهُويَّتنا بداعي الاندماج الحضاري والانفتاح على الثقافات والحضارات الأخرى.

الثقافة العربية والعولمة:

الأمة العربية في شكلها القومي تُواجَه بالعولمة وتتهدَّد في كياناتها الجغرافية والاقتصادية والسياسية والثقافية خاصة بالعولمة، ولن تُفلت الأمة العربية بهذه العولمة إلا باصطناع أساليب جديدة اقتصادية خاصة وسياسية وثقافية، فالعالم العربي أمام مُعضِلة صعبة شائكة يتطلَّب حلُّها المحافظة على العناصر الإيجابية في الثقافة العربية، بما يدعم خصوصياتها وتعبيرها عن خبراتها التاريخية والانفتاحية في الوقت نفسه على الثقافة العالمية بمُكوِّناتها المختلفة[19].

ويبدو واضحًا أمام العرب إن هناك أخطارًا من العولمة تواجه الوطن العربي تنطوي عليها العولمة المتوحشة على المصالح الاقتصادية منها والقومية والثقافية تتطلَّب أكثر من التنديد بتلك الأخطار؛ ذلك لأنه ما لم تَقُم مجموعة عربية متضامنة تنسِّق خططها التنموية وسياساتها الاقتصادية، فإن الوطن العربي لن يستطيع مواجهة وميول الهيمنة السائدة على الصعيد الدولي سواء في إطار العولمة أو في إطار نظام عالمي آخر. ولا يتوقف الأمن عند الجانب السياسي والاقتصادي بل يمتد إلى الجانب الثقافي، فلقد أدرك العرب أن ثقافتهم الحاضرة تواجه أزمة خطيرة، تتمثل أعراضُها في سيادة الإرهاب وتهافُت البحث العلمي واللاعقلانية وانقطاع التواصل الموضوعي مع العالم والميل إلى العزلة الثقافية والخوف من التجديد والتغيير.

والعولمة خيرٌ أو شرٌّ لا بُدَّ منه، فلا بد من التوافق معه لأنه النظام الذي يسود العالم حاليًا، ولا بد من التأقلم معه على المستوى السياسي والإعلامي والتكنولوچي والسماوات المفتوحة، وعلى المستوى الاقتصادي والفكري (الجات) فلابد من تأهيل الذات العربية على التعامل مع موجات العولمة، وألا تجرفها هذه الموجات وتقضي عليها؛ لذلك لا بُدَّ للعرب أن يحققوا أقصى استفادة من العولمة، عن طريق أربعة مداخل رئيسة، وأساسية تمثل الإطار العام لهذه العلاقة، وهي[20]:

- توجيه الجهود العربية، من أجل الحدِّ من مخاطر العولمة.
- محاولة الاستفادة من بعض مزايا العولمة.
- إعادة الثقة للعمل العربي المشترك، بشكلٍ عقلاني وتدريجي.

ثقافة الطفل بين الحاضر والماضي:

إن كلمة ثقافة وإن بدت في شكلٍ ثبوتي مُعبر عن جُلَّةٍ من المعطيات الفكرية والمادية فهي في باطنها دائمة التغيُّر، والتبدُّل، في علاقة جدلية تربط الماضي بالحاضر، وتقود إلى المستقبل. فما

بين حاضر الطفل العربي من معطيات ثقافية قد بدَتْ وكأنها في قطيعة مع ماضي الثقافة العربية الأصلية، وعند تشخيص حالة ثقافة الطفل: حاضرها وماضيها نجد حقيقة بداية انهيار الصورة الأصلية لثقافةٍ عربيةٍ سادت، وأصبحت الآن في مُعترَكٍ تواجه فيه أشد الضربات عبر وسائط مرئية ومسموعة لا قِبل لها بها، فبدأت تترك العديد من مضامينها، وتسمح بتسرب مضامين الحداثة والمُعاصَرة في علاقةٍ يبدو وكأن الماضي الثقافوِي قد مضى ولم يمضِ بأجمعه، وأن المعاش الثقافوي قد حضر ولم يحضُر بأكمله.

وتتجلى خصوصية ثقافة الطفل العربي في تداعياتها المرتبطة بالتقاطع بين ما هو أصيل وبين ما هو معاصر في السعي لتوجه نمو هذا الإنسان، وضبطه ليكون نتائج هذا الضبط شخص له سمات عربية مناظرة أو مقاربة لكل ما هو عربي. مع وجود هوامش فارقية في فعاليات الثقافة يصير النمو المعرفي والنضج الاجتماعي حاجزًا دون ما هو فردي وفوضوي ومطلق الحرية والتلقائية؛ لأنه يصير وبحكم المعطيات الثلاثية للثقافة "النفسي– الاجتماعي – الحضاري" مُوجَّهًا نحو المُماثلَة والتقارُب مع الآخرين.

فالطفل ككائن اجتماعي يمرُّ بعملية توضع في دروب الثقافة "السالكة وغير السالكة" والعلاقات الاجتماعية "الحميمة وغير الحميمة"، في تجذُّرها الثقافي وتأثرها بكل ما هو عصري رغم الخصوصيات المكانية والانتمائية؛ وبالتالي فإن تشكيل المخزون المعرفي الثقافي للطفل العربي يصير رهانًا تسعى لكسبه وسائط تثقيف متعددة، بعضها منسجم وإيجابي وبعضها متعارض وغَرَضيّ سلبيّ. وتزداد عتامة الموقف الثقافي للطفل العربي منذ بداية طغيانه لثقافة عالمية ذات جذور غربية تتجاوز الحواجز والمحددات الثقافية كافةً، غيرَ آبهةٍ بالخصوصيات الثقافية فارضة قيَمًا سطحية أو استهلاكية سوقية[21].

واقع ثقافة الطفل العربي:

يعيش الطفل العربي حالةً عدميةً فيما يتعلق بالمؤثرات الثقافية التي تحيط به. فالأوضاع الثقافية والإنسانية التي تحيط بالأطفال العرب، ولا سيَّما هؤلاء الذين ينحدرون غالبًا من الفئات الاجتماعية المُهمَّشة تأخذ طابعًا تراجيديًا ومأساويًا. ففي أغلب القرى الريفية على امتداد الجبال والصحارى لا نجد مكتباتٍ للأطفال أو كتبًا، كما لا توجد مسارح أو سينما أو كمبيوتر أو إنترنت أو حتى تليفزيون، وحتى المدارس المتوافرة في هذه المناطق فإنها تعاني كُلَّ أوجه النقص، وتفتقر

إلى مُتطلَّبات الوجود الإنساني والتربوي: ومعلمون لا يمتلكون تأهيلًا علميًا أو تربويًا كافيًا، وفصول متعددة في صَفّ واحد.

إن ما يُقدم للطفل العربي من مثيراتٍ ثقافيةٍ لا يمكنه بحالٍ من لأحوال أن يعبر عن طموح ثقافي حقيقي للنهوض بالطفل العربي ثقافيًا وروحيًا، كما أن أغلب ما يُقدم للطفل في المستوى الإعلامي ينتمي إلى فئة الثقافة الرخيصة والهابطة والتي تستهدف عقل الطفل ووجدانه، إنها ترجمات وافدة لثقافة غربية تفيض بقيم غربية تقع خارج السياق القيَمي للثقافة والإنسان في المجتمع العربي، وبعضها – إن لم يكُن أكثرها – يفيض بثقافة موجهة مضادة ومُعادية للثقافة العربية، بما تنطوي عليه من قيَم سامية خلَّاقة تتميز بالرِّفعة والسُّموّ والأصالة[22].

فالمنزل الذي يتلقَّف الطفل منذ نشأته، يكاد لا يحافظ على الطفل كجسد فهو (أي المنزل)، في أحسن الأحوال، يوفر له اللبن والخبز واللحم. ولكن لا يوفر له غذاء العقل، من كتاب، ولغة وحوار وقصص قبل النوم. وزيارات ورحلات لأماكن التقنيات، والإنجازات الحديثة من مصانع ومعامل إلى آخره، ولا يوفر له زيارات إلى مكتبات، أو لقاءات بكُتَّاب وعلماء ورجال بارزين لهم إنجازات... إلخ.

والمدرسة، مؤسسة بائسة، تُنفِّر ولا تُبشِّر! ولا يشعر العاملون بها ولا متلقو العلم فيها، بالقناعة أو الأمانة، العمل فيها تحصيل حاصل[23].

فالمدرسة لم تستطع أن تنمِّي مهارة التفكير، وهي لا تزال تدرِّس المواد التوجيهية كالدين والتربية الوطنية والتاريخ، بأساليب لا تؤهل الأطفال لامتصاص هُويَّة ثقافيَّة متناغمة مع متطلبات الحياة الجديدة، ولم تستطع أن تنمي الأساليب الديمقراطية في النقد والتحليل والنظر إلى الآخر. وإلى الذات. وهي لا تزال تعزز الكثير من ردود الأفعال السلبية، دون وعي منها، كالتخويف، والاستسهال، والتهرُّب من المسئولية[24].

كما نجد من أشد الأساليب فتكًا بالعقل وتدميرًا للإنسان وعصفًا بالطفولة أسلوب التلقين الذي تعتمده التربية العربية في تنشئة الأطفال وتربيتهم وتثقفيهم، فالمدرسة تعتمد على التلقين في عملية تثقيف الطفل وتربيته، فالتلقين شكلٌ من أشكال التسلُّط والقهر، وهو انتهاكٌ للعالم الداخلي للطفولة، فالطفل عندما يُلقَّن لا يُسمح له بإبداء رأيه فيما يتلقَّنُه[25].

والإعلام لا يملك الخطط، أو الأهداف أو الأدوات الحقيقية لتثقيف الطفل العربي. وكتاب الطفل العربي، لا يرقَى من الاهتمام إلى مستوى حبَّة (حب حب) من أجل الأكل، أو مستوى

شريط ڤـيديو، أو حذاء (موضة) من أجل المنظر!! ومجلة الطفل العربي، في الغالب إما ناشرها جاهل بأصول دورها، وإما عاجز عن توفير أدوات نجاحها أو هي مقصورة على فئة محدودة في تفكيرها، أو مقصورة على شلَّة تهدف إلى الارتزاق من ورائها، أو هي ناجحة بنسبةٍ ما، لكنها محكومة بسياسات أو أمزجة مُنشئِيها، أو القائمين عليها[26].

إن أطفال اليوم يواجهون عدة "جبهات" وقنوات تنشئيَّة، يصارعون من خلالها مجموعة متفرقة من التحديات الثقافية المعقدة، والتي تعكس واقع مجتمعاتهم المعاصرة، من جرَّاءِ الكَمِّ الهائل من الوسائط الاتصالية والإعلامية التي أصبحت تحلُّ محلَّ الخلايا التقليدية في توجيهها.

ولتقييم ثقافة الطفل العربي لا بُدَّ أن نطرق الأمور التالية[27]:

- تقييم ثقافة الأسرة العربية على مستوى كل قُطْر عربي وإجراء البحوث العلمية الأساس في ثقافة الطفل.
- تقييم النظام التربوي وخصوصًا في مرحلة الروضة والابتدائية والمتوسطة.. ومناهجها، أساليب التدريس فيها، البيئة المدرسية وكفاءتها في توفير مُقوِّمات تربوية إيجابية، واهتمامها بعقلية الطفل.
- تقييم النظام الإعلامي أو النظام الثقافي العام ومدى اهتمامه بثقافة الطفل، وما المساحةُ التي تُمنح للطفل في برامجه سواء على صعيد المجتمع في ممارسته الثقافية، وحينما يتم تقييم واقعها والمساحة الثقافية ونوعها وأُسُسها الممنوحة للطفل حتى سن الخامسة عشرة، تقييمًا موضوعيًا وعلميًا.

مأزمية ثقافة الطفل العربي في عصر العولمة:

البحث في ثقافة الطفل العربي في عصر العولمة، يرسلنا بعيدًا إلى بداية الألفية الثانية، ويجعلنا نقف وجهًا لوجه مع مقولة "ابن خلدون" في مقدمته التي جاء فيها: "إن المغلوب مُولعٌ أبدًا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزِيِّه ونِحْلتَه وسائر أحواله وعوائده. وهي إرسالية استفهامية لمقاربة وضعية ثقافة الطفل العربي في عصر العولمة والمُطوِّرة للمعلوماتية، والدول والثقافات المستهلكة لنتاجات ومُخرَجات العولمة ومستفيدة من المعلوماتية.

ومقارنة ثقافة الطفل العربي من منظور تأزُّم وضع الثقافة العربية في عصر العولمة والمعلوماتية هي مقاربة لنمو الذات العربية وروافد نشأتها وتطورها، إنها مقاربة تبتعد عن إصدار الأحكام

وإلصاق التُّهَم، وجَلْد الذات والبكاء على ما فات، هي مقاربة متأنية تحاول أن تُسهم في مسألة التعامل مع ثقافة الطفل العربي في عصرٍ تقلَّص فيه الدور الثقافي للأسرة وحتى المدرسة، واتسع فيه دور وسائط الاتصال الجماهيري عبر فضائيات البَثّ المرئي وشبكات المعلومات والهواتف المحمولة.

وإذا كانت الثقافة العربية تؤكد الإيمان بالقيَم الأخلاقية السامية، فإن تثقيف الطفل العربي المعاصر يتم أيضًا من خلال وسائط التواصُل المعلوماتي بالصوت والصورة عبر فضائيات عابرة للقومية، يركز على المسألة الفردية وعلى قيم السوق والبورصة والحظ، ومَن سيربح المليون والعالم الطبيعي والتكنولوچيا المتطورة ذات الاستخدامات البراجماتية والرياضة والدعاية والإعلان لأغراض استهلاكية والموضة وغيرها[28].

فرص العولمة:

إن استفادة ثقافة الطفل العربي من عصر العولمة يتعاظم بالتخطيط الجيد والتنفيذ الشامل، وفتح الحواجز الجمركية لانتقال الثقافة العربية والإسلامية بين البلاد العربية والإسلامية، والتكتُّل لتشجيع انتشار الثقافة العربية والإسلامية؛ لتحقيق الذاتية الثقافية والحضارية للمجتمعات العربية والإسلامية، ومحاربة العناصر الهدَّامة التي تتغلغل من أجل القضاء على الذات الثقافية، ومحاربة التنوع الثقافي من خلال نشر العادات والقيم الغربية في المجتمعات العربية والإسلامية، وتتعاظم هذه الاستفادة من عصر العولمة عن طريق[29]:

- تنمية المفاهيم الديمقراطية وحقوق الإنسان لدى الطفل العربي والمسلم، في قالب مُشوِّق وربط ذلك بمفاهيم الشورَى الإسلامية كنظام سياسي رائع متميز ومنفرد.
- زيادة مصادر الثقافة العالمية أمام أطفالنا وانفتاحها أمامه، مما يجعله قادرًا على استيعابها، والتكيُّف معها بذاتيته الثقافية.
- القدرة على بَثّ رسالة الثقافة العربية والإسلامية إلى مختلف أنحاء العالم؛ وبالتالي تكون العَوْلَة والكَوْكَبة والقرية الكونية فرصة للدعوة الإسلامية، والتأثير في أبناء الحضارات الأخرى في الأجيال الجديدة.
- الحفاظ على الهُويَّة العربية أو الإسلامية لأجيالنا الجديدة، من خلال توفير البديل الإعلامي والثقافي الإسلامي؛ ليكون موجودًا جنبًا إلى جنب مع المُنتَج الإعلامي والثقافي الأجنبي في عصر الفضاء وعصر المعلومات.

- الاستفادة من مميزات العولمة والكوكبة العلمية، في الحصول على أحدث التقنيَّات والوسائل المختلفة لإنتاج ثقافة الطفل المسلم على أوسع نطاق.
- ونتيجة ارتباط العولمة بالثورة العلمية والمعلوماتية، فإنها ستفتح أمام البشرية آفاقًا معرفية واسعة، فهي تجعل بإمكان جميع الدول الاستفادة من الإنجازات العلمية التي تحققت للبشرية، والأخذ بنتائج الثورة العلمية والتكنولوچية التي تحدث اليوم، كما أن بإمكان كل الثقافات في العالم أن تستفيد من اقترابها من بعضها البعض، وأن تُسخِّر التدفُّق الحُرّ للبيانات والمعلومات والأفكار والمفاهيم لكي تتعرَّف اختلافاتها وتحترم خصوصياتها الثقافية، وتعزز من التنوع الثقافي العالمي.

مخاطر العولمة:

- تعمل العولمة على بناء الإنسان ذي البُعد الواحد في كينونة ضمنيَّة، قوامُها تكييف البشر اغترابيًا مع منظومة القيم الرأسمالية الجديدة القائمة على أُسُس الربح والقوة والسلطة. ولقد ابتدعت هذه العولمة الجديدة معاول هدم جبارة، فأصبحت اليوم أكثر قدرةً على تدمير الأعمال الدفينة في الإنسان، إنها تتوغل في الأعماق وتعيد بناء الروح الإنسانية على نحوٍ اغترابيّ يستجيب لمطالب الروح الفاوستية الجديدة، التي تحتطب لهب وقودها من مشاعر الإنسان وأحاسيسه. وباختصار، هذه العولمة الجديدة تبتدع أخطر أساليب القهر الإنساني وتعمل على اختيار كل المضامين الحيَّة في الإنسان، إنها تسعى إلى تدمير الروح الإنسانية التي كانت يومًا هي الحصن الأخيرة للمعاني الإنسانية[30].
- إن انتشار صناعة البرمجيات والوسائط المتعددة التي تتيح لعب الكمبيوتر الحربية للأطفال والتي كانت تُستعمل لأغراض عسكرية، والتي تحولت إلى صناعة ألعاب ترفيهية للصغار والكبار، من شأنها ترسيخ العنف بكل أشكاله، وقد ظهرت آثار هذه الألعاب التي أفرزتها تكنولوچيا العولمة على أطفالنا في المنازل والمدارس، وكلنا نشاهد مدى العنف السائد بينهم[31].
- ويأتي دور العولمة عبر أكثر أدوات القهر فتكًا بالعقل والإنسان لتُجهِز على الطفل ثقافة ومصيرًا، إنها تُجهز على ما تبقَّى من ومض حياة عقلية وروحية في الأطفال، ثم تعمل بوسائطها على اختزال الأطفال إلى ركام مهزوم من الميول البدائية، التي تحوِّل الطفل

إلى مجرد كيان ساذَج تحركه نوازع الاستهلاك والشهوة والرغبة. فالعولمة لا تشكل وعي الطفل فحسب بل تُهندس منظومة إدراكه للوجود وتولِّد فيه الميول الغريزية البدائية، وتقتل في العقل كل إمكانات النظر والتحليل والتأمل المنطقي والقدرة على التفكير المنظم. لأن السيطرة على البشر تبدأ بالسيطرة على عقولهم ونوازع تأملهم وتفكيرهم وهنا يكمن منتهى الخطر[32].

- تُشكل المنافذ الإعلامية طوفانًا لم يسبق له مثيل في التاريخ، فآلاف المحطات الفضائية، وآلاف الشركات المُنتِجة للمواد تتزاحم في الفضاء حتى كاد يضيق بها على سَعَته، وتنهمر وابلًا من صدمات متكررة، ونحن لم نتجاوز بعد عقدة الحداثة الأولى التي داهمتنا قبل قرون، وإن كان البعض متيقظًا لبعض هذه المنافذ التي تبث وترسل موادَّ واضحة المآرب والمشاهد، كالقنوات والأفلام والمواد الإعلامية غير اللائقة أو التي تُجاهر بعدائها لنا ولوجودنا أو التي تمرر صورة مُشوَّهة لنا، والطفل الذي ننسى حواسَّه المتأهبة ونحن نتابع الشاشة أو الصحيفة يكون على اتصالٍ أكثر التصاقًا وتأثرًا منَّا. والإعلام الوافد الذي يغمرنا بذائقة وإحساس ومفاهيم ومشاهد لا تتفق مع أُسُس هُويَّتنا، ويبقى محل اتهام وحذر، ولكن الإعلام العربي وخاصة القنوات الفضائية التي تقارب 200 قناة ماذا تقدم؟![33].
- الشرخ الثقافي الذي سيحصل بين الطفل العربي مستخدم معطيات المعلوماتية وباقي شرائح المجتمع، فالتجارب المتراكمة والتي كانت تُنقل إلى الطفل من خلال محيط العائلة بشكل خاص، والمدرسة والمجتمع بشكل عام، والتي تشكِّل أساسيات منظومة القيم المعتمدة في المجتمع العربي وهذه التجارب سيجد الطفل نفسه في غيرِ حاجةٍ ماسَّةٍ إليها؛ بسبب ارتباطه بمنظومة قيم جديدة توفرها له مجمل الاستخدامات والاتصالات التي يُجريها باستخدام الحاسبة وشبكة الإنترنت، سواء أكانت هذه الاتصالات مباشرة أم عن طريق البرمجيات المتداولة في الوطن العربي والمُصنَّع معظمها في العالم الغربي، وهذا الشرخ الثقافي سيدفع بالطفل العربي إلى حالة من الاغتراب، و"الاغتراب"، خلق هوَّة بين المرء وواقعه، حين تغلف الذات بمشاعر الغربة والوحشة والانخلاع والانسلاخ، واللاانتمائية بعد ذلك "وستتعاظم خطورة التغريب مع الأطفال العرب بسبب غياب وضعف وجبة الثقافة القومية المقدمة لهم عن طريق الوسائل المتعددة التي يستخدمها مُروِّجو عصر

المعلوماتية، والتي تلقَى قبولًا أفضل عند الطفل بسببٍ من اعتمادها على الصورة الشائقة والحركة السريعة"[34].

- إن مجموع ما يتلقَّاه الطفل العربي من المُؤثِّرات الوافدة من خلال المؤسسات التربوية والثقافية والإعلامية، يقود إلى انفصام في وجدان الطفل فتضطرب في داخله الرؤى والرموز وينشأ لديه ألوانٌ من الصراعٍ في سلوكه الاجتماعي والثقافي، وتقتحم الرؤى والرموز الثقافية الغربية من لغة وآداب وفنون وألعاب واحتفالات وأسلوب حياة ومأكل ومشرب وملبس وعلاقات، حياةَ الطفل شيئًا فشيئًا، ثم يمضي الأمر إلى أن تغدو الرؤى والرموز الثقافية العربية الإسلامية غريبة عن ذهن الطفل، لا يعيشها ولا ينسجم معها، بل يحسُّ تجاهها بشيءٍ من اللبس والاضطراب وربما الخجل والحياء[35].

مواجهة مخاطر العولمة:

وعليه فيجب على الثقافة العربية إذا أرادت أن تواجه العولمة أن تفعل ما يأتي:

أ – الأخذ بالعلم الحديث والمتفق مع قيم المجتمع العربي المسلم.

ب – التعليم الحديث المُتطوِّر مع المحافظة على قيم الإسلام والهُوَّية العربية.

ج – تنوُّع الثقافة العربية وجِدَّتُها[36].

د – حاجتنا إلى سور أخلاقي يحمينا من العولمة، حيث إن خامات هذا السور الأخلاقي هي التربية المتميزة والتي لا تتم من دون مُربِّين مخلصين، يقدمون المثَل الأعلى والقدوة الصالحة من خلال مناهج تربوية عظيمة جذابة. ولَبِناتُ هذا السور هي عقيدة صافية، وأخلاق فاضلة، والتزام وولاء وحب وصدق وأمانة واستقامة وإيثار ونُصح وصلة رحم وشجاعة وكرم وعطاء بإخلاص في سبيل الصالح العام. وبالتالي فعلى الأسرة والمؤسسات التربوية تدعيم التربية الخُلُقية والعمل على:

- إعداد الطفل العربي إعدادًا إسلاميًا وعلميًا، والعمل على تسليحه بالعقلية العلمية حتى يستطيع الاستفادة من معطيات العلم الحديث.
- العمل على تنمية الوعي الإسلامي لدى أطفالنا، وغرس المبادئ الإسلامية في نفوسهم، وتلقِّيهم قيم الحضارة الإسلامية والحب والولاء للأمة العربية والإسلامية.

- غرس الاهتمام بالعلوم الحديثة وتشجيع الميول والاتجاهات العلمية اللازمة، مثل حب الاستطلاع والتخيُّل والملاحظة.
- التخلِّي عن الطرق التقليدية في تربية أطفالنا.

دور المؤسسات الثقافية في تثقيف الطفل العربي:

يقع عبء اكتساب الطفل للثقافات المتعددة والمتنوعة على عددٍ من المؤسسات الثقافية داخل المجتمع، مثل الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام المختلفة، وفيما يلي توضيح لدور تلك المؤسسات في تثقيف الطفل:

أولًا: دور الأسرة في تثقيف الطفل:

الأسرة هي الخليَّة الثقافيَّة الأساسيَّة لعملية التنشئة الاجتماعية وكذلك التنشئة الثقافية، فمن خلالها تتبلور شخصية الطفل بجوانبها: العقلية والاجتماعية والجسمية والانفعالية، كما تُعد الأسرة أول مؤسسة ثقافية يتفاعل معها الطفل، وفيها تُغرس البذور الأولى للثقافة فيه عن طريق الأم والأب والكبار الذين يحيطون به، وذلك من خلال أساليب التنشئة والقدوة وأنماط السلوك الاجتماعي والعادات والقيم.

وللأسرة دور مهم في تكوين ثقافة الطفل وتنشئته؛ خصوصًا في السنوات الأولى من عمره وهي الوعاء الثقافي الذي يُكسب الطفل اللغة والمفاهيم والاتجاهات والقيم والعادات والأدوار الاجتماعية وغيرها.

ويبرز دور الأسرة هنا، من خلال تشجيع الطفل على تنمية الجوانب الثقافية التي يميل إليها، سواء أكانت: القراءة، الموسيقا، الرسم أو الرحلات، وتشجيعه على ممارستها، وعدم حرمانه من التمتُّع بمثل هذه الأنشطة الثقافية. وإن كان الأمر يعتمد بالدرجة الأولى على شخصية كُلٍّ من الأب والأم، ومدى اهتمامهما بالثقافة وإيمانهما بأهميتها لمستقبل الطفل.

إضافةً إلى أن التحديات التكنولوجية، والتطور الهائل الذي نواجهه اليوم يجعل لزامًا على الآباء والأمهات أن يهتموا بتعليم الأطفال لغاتٍ أخرى غير العربية، حتى تزداد خبراتهم بالثقافات المختلفة؛ ليستطيعوا أن يقارنوا بين ثقافاتهم وثقافة الغرب وأن يكوِّنوا رأيًا عنها.

فاللغة الأجنبية أصبحت الجسر المُوصِّل إلى ثقافات الدول الأخرى. وفتح الأبواب المغلقة على الدول الأكثر تقدمًا، وليس معنى هذا أن تطغى اللغة الأجنبية على اللغة العربية، أو تؤدي

إلى فقدان الهوية العربية؛ خاصة وأن الطفل يتعلم اللغة الأجنبية وهو في سِنٍّ صغيرة – بل على العكس – فاللغة وسيلة لاكتساب العلم والمعرفة، والمشاركة في الحوار والتفاعل مع التطور الإعلامي والثقافي الذي سيطر على العالم. فالغرب تعلم اللغة العربية في العصور الوسطى واستقى منها وبنى حضارته ولم يفقد هويته[37].

والحقيقة أن المناخ الثقافي في الأسرة إما أن يكون حافزًا أو معوقًا للرعاية الثقافية للطفل؛ لأن الوظيفة الثقافية للأسرة والإطار الثقافي للطفل، وثانيها: أنها تختار من البيئة الثقافية ما تراه مُهمًا وتقوم بتوضيحه وتفسيره مما يؤثر على اتجاهات الطفل لعددٍ كثيرٍ من السنين. بل إن للأسرة الأثر الكبير في نقل الاتجاهات المتفاوتة إلى الأطفال؛ ومن ثَمَّ تتميز اتجاهاتهم الانفعالية والعقلية وتتشكل مفاهيمهم المختلفة الخاصة بمعنى التعاون والتنافس والوظائف والعلاقات الاجتماعية والآمال، بل قد تؤثر الأسرة على الطفل بكل هذه الاتجاهات قبل أن ينطلق إلى الدوائر الثقافية الأخرى[38].

وجدير بالذكر أن الأسرة في النصف الأخير من القرن العشرين تعرضت لتغيُّرات عديدة منها الاجتماعية والثقافية والعمرانية، أثرت تأثيرًا مباشرًا عليها؛ مما ترتَّب عليه تحوُّلات جذرية في بنائها وفى وظائفها الأساسية؛ خاصةً وظيفة التنشئة الثقافية للطفل.

إن الملامح الرئيسة لثقافة الطفل تُحدد بدرجة كبيرة من خلال الأسرة في الفترة العمرية المبكرة. ولا تستطيع الأسرة أن تحقق ذلك إلا من خلال اضطلاعها بواجباتها في مجال تنمية ثقافة الطفل، ومنها على سبيل المثل وليس الحصر:

واجبات الأسرة نحو تنمية الثقافة الدينية للطفل: عن طريق غرس بذور العقيدة الدينية الصحيحة، فإن نجحت الأسرة في هذا الغرس تكون قد وضعت اللَّبِنة الأولى في تكوين الضمير الديني والأساس القوي للعمل الصالح[39].

واجبات الأسرة نحو التنمية الثقافة الصحية للطفل: حيث يكتسب الطفل من الأسرة العادات والاتجاهات الصحية عن طريق المحاكاة والتقليد، واكتساب العادات الصحية السليمة في النظافة والطعام والتغذية. وتتأثر ثقافة الطفل الصحية بمستوى الثقافة الصحية للأسرة، فإذا لم يكن لدى الوالدين الثقافة الصحية الكافية ينشأ الطفل في ظل الأُمِّية الصحيَّة. أما الطفل الذي ينشأ في أسرة تتمتع بالصحة الجيدة وتعمل على وقاية أفرادها من الأمراض، فإن مثل هذا الطفل يتلقَّى ثقافةً وأنماطًا صحية جيدة.

أما واجبات الأسرة نحو تنمية الثقافة الرياضية للطفل: فتتمثل في دورها في البناء البدني والترويحي تجاه الأبناء وخاصة في مرحلة الطفولة، ويظهر ذلك في اعتناق مفاهيم خطأ عن الرياضة البدنية والترويح السلبي، كالمشاهدة والتشجيع والتعليق على الأحداث الرياضية. هذه الممارسات تُعد سببًا ونتيجةً في آنٍ واحد لضعف الدور التربوي المَنُوط بالآباء[40].

إن الأسرة تعمل على نقل ثقافتها من لغة ودين وتقاليد وعادات واتجاهات وقيم ومعلومات ومهارات إلى أطفالها، وبناء شخصياتهم لجعلهم أفرادًا نافعين لمجتمعهم وقادرين على مواجهة متطلبات الحياة والاعتماد على أنفسهم في المستقبل، فالأسرة يجب عليها أن تعمل بكل جدية على تدريب الطفل على السلوك الإيجابي الجميل وعلى تجنُّب السلوك السلبي القبيح، فمن أجل أطفالنا يكون التزامنا بالعادات، ومن أجل أطفالنا يكون حرصنا على الحفاظ على القيم التي تحمي مجتمعاتنا وتحافظ عليها.

ثانيًا: دور المدرسة في تثقيف الطفل:

لقد فرض عصر المعلومات تحديات جديدةً في مجال التعليم، وأصبحت مهمة التعليم في القرن الحادي والعشرين هي كيف يتعلَّم الطالب ذاتيًا وكيف يداوم عملية التعلُّم طوال فترات حياته العملية، وأصبح التعليم في مجال تكنولوچيا المعلومات يهدف إلى تنمية قدرات الأفراد على الإبداع والابتكار وحل المشكلات من خلال تدريبهم على التفكير العلمي، بالإضافة إلى القدرة على استخدام الحاسبات الآلية وتطوير أساليب التعليم لرفع إنتاجية مُدرِّسيه وطالبيه وزيادة فاعلية إداراته وتعظيم عائده؛ لضمان تنشئة جيل جديد على درجةٍ من الوعي والقدرة على تغيير واقع المجتمع والتصدي لسلبياته من أجل حياة أفضل، ومن هنا لا بُدَّ أن تهتمَّ المدرسة بتعليم الأطفال الحاسب الآليّ حتى يستطيعوا ملاحقة تطورات المجتمع. كما أن دور المدرسة والتعليم فيها هو الأساس الذي تنبني من فوقه ثقافة الطفل، ونعلم ما هي بحاجة إليه من تطوير فينتقل بها من التلقين المعرفي والوعظي إلى دور البحث والإبداع، عن طريق معلم عصري متطور يعرف مهمته ودوره، ومن خلال منهج متطور يُعنى بعقلية الطفل وذكائه وقدراته ومواهبه.

كما يبرز دور المدرسة في تنمية ثقافة الطفل من خلال توفير مكتبة تضم شتى أنواع الموسوعات والكتب والقصص التي تناسب الأطفال، إضافةً إلى الحرص على القيام بالرحلات وزيادة المتاحف والأماكن السياحية المختلفة ليكتسب الأطفال ثقافةً عن حضارة وطنهم.

إن المدرسة النموذجية هي التي تستهدف تربية الطفل وتكوين شخصيته من جميع الجوانب الجسمية والنفسية والعقلية والاجتماعية، فالمعلم الناجح هو الذي لا يقتصر دوره فقط على تزويد المتعلم بالمعارف والمعلومات فقط، بل يعد نفسه مسئولًا كل المسئولية أن يحقق للمتعلم القدرة على حُسن التوافق الاجتماعي والنفسي بالإضافة إلى العناية بالتحصيل العلمي الأكاديمي.

ثالثًا: دور وسائل الإعلام في تثقيف الطفل:

مما لاشك فه أن لوسائل الإعلام دورًا مؤثرًا وكبيرًا على الطفل، واكتسابه للثقافة، ورغم الآثار السلبية لوسائل الإعلام ، فإن هذا لا ينفي ما لها من آثار إيجابية على الطفل. وإذا كانت وسائل الإعلام تستطيع أن تزود الفرد العادي بالمعلومات، فإن تأثر الطفل يكون مضاعفًا. لأن الطفل أكثر تعلقًا بالتلفاز وما يُعرض على شاشته؛ لأنه يجلس أمامه فترة طويلة.

ويبدو أن أثر وسائل الإعلام على الطفل يفوق أثر المدرسة. ويُعد التلفاز أكثر الوسائل الإعلامية تأثيرًا على الطفل لأنه يجمع بين مزايا عديدة تجذبه حيث إنه يجمع بين حاسَّتَي البصر والسمع، ويجمع بين الصوت والصورة والحركة واللون. وتستطيع وسائل الإعلام أن تنمِّي قدرة الطفل على خلق آراء حول موضوعات معينة بشكل جزئي وحسب سِنِّه ولكنها تتغير فيما بعد[41].

خاتمة:

في الوقت الذي يتحتَّم علينا مواكبة عصر العولمة وملاحقة الركب المتقدم، يتعيَّن علينا أن نحافظ على ذاتيتنا وشخصيتنا المميزة لنا عن غيرنا، حيث أصبحت الحاجة مُلحَّة إلى إبراز معالم ثقافتنا العربية والإسلامية؛ دفاعًا عن أصالتها وتثبيتًا لها في عقول الناشئة وتجذيرها في نفوسهم، وذلك لمواجهة الثقافة الغربية، تلك الثقافة التي أصبح تأثيرها يمتد في سلوكنا بسرعة التيار الجارف في عصر العولمة.

ونحن في حاجة كعرب إلى إعادة النظر في مناهج التعليم لنتصالح مع الحداثة والتكنولوچية في عصر العولمة، عصر الإنترنت والمعلومات والقنوات الفضائية، وعلينا أن نجعل المناهج ليست هدفًا في ذاتها بل نجعلها تحثُّ الطالب على الوصول للمعرفة والبحث عنها في عصرٍ تراكمت فيه المعرفة؛ وذلك من أجل تحصين أطفالها وشبابها ومواطنيها ضد هيمنة وسائل الإعلام السائدة التي تمتلكها الشركات العالمية وتستخدمها لأغراضها في الربح والسيطرة.

ولا يمكن أن نتصور مثلًا أننا ندعو للحداثة وننسى جذورنا العربية الإسلامية الأصيلة التي تكمن في داخل كل فرد منَّا، فالعلم والحداثة لا يعوقنا ولا يمنعنا من أن نتمسك بلغتنا أو بتراثنا الإسلامي العظيم، بل إن تمسُّكنا بديننا هو الذي سيدفعنا إلى الحداثة والمواءمة مع التغيرات العملية وذلك لأن الدين الإسلامي يحث على طلب العلم، فالتقدم نحو المستقبل مرهون بمدى قدرتنا على الأخذ بأساليب العلم الحديثة مثلما هو مرهون بمدى قدرتنا على إعادة الاعتبار والاحترام للفكر القومي، الذي ينبغي أن يظل بالنسبة إلى العالم العربي الإسلامي هو الشعلة المضيئة التي لا تنطفئ مهما تعددت الهزائم وتوالت الانكسارات. وهذه الرؤية الجديدة يجب أن تستند إلى قاعدة صلبة اسمها إعادة إحياء الفكر القومي وإعادة بعث القومية العربية بمفهوم جديد، وعلينا أن نبدأ على الفور وقبل فوات الأوان.

كما أن المطلوب من المجتمعات العربية والإسلامية استعادة مساهمتها في بناء الحضارة العالمية. والأخذ بوسائل التطور والتقدم العلمي والتكنولوچيا الحديثة القادرة على استثمار الطاقات البشرية والاقتصادية والتقدم خطواتٍ سريعةً للأمام، ويكون لها مردودها من خلال تأثير فعَّال في حضارة الشعوب ومسيرة تطورها بما يخدم الإنسانية.

المراجع:

(1) آدم، محمد سلامه (1401هـ). "المفهوم الإسلامي للطفولة واتجاهات التربية الحديثة". مجلة الفيصل. المملكة العربية السعودية. الرياض. (52)، ص19.

(2) الجابري، حمدي (2002م). مسرح الطفل في الوطن العربي. القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص7.

(3) حسين، إبراهيم أحمد إبراهيم (1998م). "التفاعل الثقافي وبعض إيجابيات العولمة"، قراءة في الرواية العربية، ضمن ملخصات المؤتمر السنوي الخامس عشر لقسم أصول تربية، بعنوان: العولمة ونظام التعليم في الوطن العربي "رؤية مستقبلية". كلية التربية. جامعة المنصورة، ص175.

(4) السعدني، مصطفى (1998م). "حوار الحضارات وتفاعلها بين الوحدة والتنوع". ضمن ملخصات مؤتمر الثقافة العربية في ظل العولمة. كلية الآداب. جامعة الزقازيق فرع بنها، ص198.

(5) عيد، محمد إبراهيم (2001م). "الهوية الثقافية العربية في عالم متغير". مجلة الطفولة والتنمية، القاهرة . المجلس العربي للطفولة والتنمية. (3) ،(1)، ص117.

(6) الهيتي، هادي نعمان (2001م). "الهوية الثقافية للأطفال العرب إزاء ثقافة العولمة". مجلة الطفولة والتنمية. القاهرة. المجلس العربي للطفولة والتنمية. (2) (1)، ص149.

(7) إبراهيم، محمد عبد الرازق ويونس، هاني محمد وحافظ، وحيد السيد (2012م). ثقافة الطفل. ط5. عمان. دار الفكر، ص79.

(8) وطفه، على أسعد (2004م). "الطفولة العربية والصراع على المصير في استراتيجية البناء الثقافي للطفل العربي". مجلة شئون عربية. القاهرة. الأمانة العامة لجامعة الدول العربية. (119)، ص75.

(9) عيد، محمد إبراهيم (2001م). (مرجع سابق)، ص120.

(10) مزهرة، إيمان سليمان والعساف، جمال عبدالفتاح (2011م). قضايا معاصرة في تربية الطفل. ط1. عمان. دار قنديل للنشر والتوزيع، ص ص 103-108.

(11) أحمد، أحمد عبد الرحمن (1998م). "العولمة المفهوم، المظاهر والمسببات". مجلة العلوم الاجتماعية. الكويت. مجلس النشر العلمي. (1) (26)، ص51.

(12) فرج، محمد (2000م). "قاموس الاجتماعي". مجلة الاجتماعي. القاهرة. نقابة المهن الاجتماعية. (8)، ص37.

(13) الجابري، محمد عابد (1995م). قضايا الفكر المعاصر. بيروت. مركز دراسات الوحدة العربية، ص137.

(14) عبدالله، عبد الخالق (1999م). "العولمة وجذورها". مجلة عالم الفكر. الكويت. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. (2) (27)، ص52.

(15) القليني، محمود (2005م). الفكر الإسلامي ومستجدات العصر. سلسلة قضايا إسلامية. القاهرة. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. (122)، ص15.

(16) فرانسيسكو لوبير (2003م). "العولمة والتعليم". ترجمة: أحمد عطية أحمد. مستقبليات. القاهرة. مركز مطبوعات اليونسكو. (3) (33)، ص320.

(17) محمد، ميرهان محسن (1997م). "ثقافة الطفل في عصر المعلومات". مجلة منار الإسلام. الإمارات العربية المتحدة. وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف. (22) (11)، ص104.

(18) عبدالمنعم، كمال (1996م). "الإعلام الإسلامي وحقوق الطفل". مجلة منار الإسلام. الإمارات العربية المتحدة. وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف. (8) (22)، ص126.

(19) حسين، إبراهيم أحمد إبراهيم (1998م). (مرجع سابق)، ص178.

(20) عبدالكافي، إسماعيل عبد الفتاح (2003م). "أدب الأطفال والعولمة". مجلة منار الإسلام. الإمارات العربية المتحدة. وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف. (12) (28)، ص89.

(21) الدويبي، عبد السلام بشير(2001م). "ثقافة الطفل العربي.. الأبعاد المأزمية والجهود العربية". مجلة الطفولة والتنمية. القاهرة. المجلس العربي للطفولة والتنمية. (4) (1)، ص109.

(22) وطفه، على أسعد (2004م). (مرجع سابق)، ص76.

(23) مجلة المعرفة (2000م). المملكة العربية السعودية. وزارة المعارف. (59)، ص52.

(24) الهيتي، هادى نعمان (2001م). (مرجع سابق)، ص159.

(25) وطفه، على أسعد (2004م). (مرجع سابق)، ص79.

(26) مجلة المعرفة (2000م). (مرجع سابق)، ص53.

(27) المرجع السابق، ص54.

(28) الدويبي، عبد السلام بشير (2001م). (مرجع سابق)، ص113.

(29) عبدالكافي، إسماعيل عبد الفتاح (2003م). (مرجع سابق)، ص90.

(30) وطفه، على أسعد (2004م). (مرجع سابق)، ص81.

(31) أحمد، الصاوي(2005م). القيم الدينية وثقافة العولمة، سلسلة قضايا إسلامية. القاهرة. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. (121)، ص112.

(32) وطفه، على أسعد (2004م). (مرجع سابق)، ص100.

(33) علواني، عبد الرحمن (2001م). "أطفالنا في ظل العولمة". مجلة الطفولة والتنمية. القاهرة. المجلس العربي للطفولة والتنمية. (2) ،(1)، ص167.

(34) البياتي، صبري مصطفى (2004م). "المعلوماتية وانعكاساتها السلبية على الطفل العربي". مجلة المستقبل العربي. بيروت. مركز دراسات الوحدة العربية. (308) (27)، ص150.

(35) الدليمي، إبراهيم مصحب (2003م). "التنشئة الاجتماعية للطفل العربي في عصر العولمة". مجلة شئون عربية. القاهرة. الأمانة العامة لجامعة الدول العربية. (115)، ص138.

(36) حسين، إبراهيم أحمد إبراهيم (1998م). (مرجع سابق)، ص179.

(37) محمد، ميرهان محسن (1997م). (مرجع سابق)، ص105.

(38)رسلان، نبيلة إسماعيل (2002م). حقوق الطفل في القانون المصري. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة، ص171.

(39) رضوان، محمد محمود (1987م). الثقافة الإسلامية وتربية السلوك. دورية المجالس القومية المتخصصة. السنة (12). العدد (3). المجالس القومية المتخصصة. القاهرة، ص49.

(40)عفيفي، إلهام مصطفى (1988م)." اللعب كوسيلة تربوية". المؤتمر السنوي الأول للطفل المصري" تنشئته ورعايته". مركز دراسات الطفولة. جامعة عين شمس. القاهرة، ص113.

(41)محمد، ميرهان محسن (1997م). (مرجع سابق)، ص107.